

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

لي ابناً؟ لقد اختلط علي في البدء أمر أمك... وفكرت حتى أن أخلّيها، وما كنت أعلم أن في حشاها الكنز الأثمن، وأنه في يوم سيكون في حضني رب الأمجاد.

عن الصديق يوسف يقول أيضاً القديس يرونيوموس (القرن الخامس) إن الله في حكمته التي لا حد لها، غالباً ما يستعمل أبسط الوسائل لإتمام مقاصده. فعند تجسد الإبن الوحيد ما

كان ممكناً أن يكشف للعلن أمر حبّ مريم البتولي، لنلّا تسلط الأضواء على الرب يسوع قبل الأوان، ودونما تهيئة كافية، لذا، أتت خطوبة يوسف

لمريم لتحقيق عدّة أهداف في أن: حفظ المسيح من الأضواء حتى الساعة المحددة، حفظ مريم والدة الإله مما قد يسوقه عليها الشرير بواسطة مجتمع كيف له أن يقبل حبلاً بغير أب، وحضناً أبويّاً طاهراً للإبن الإلهي ولأمه معاً. تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرؤية لدور الصديق يوسف ردها أكثر من واحد من الآباء، منذ بدايات العصر الأبائي، مثل القديس اغناطيوس الإنطاكي (الرسالة إلى أهل أفسس) إلى القديسين باسيليوس الكبير وأبيفانيوس القبرصي ويوحنا الذهبي الفم وغيرهم.

الصديق يوسف الخطيب

للقدّيس يوسف خطيب الكلية القداسة والدة الإله، في التقليد الأرثوذكسي، موقع مميز وإن أغفله في بعض الأحيان الإكرام الشعبي. ففي الأيقونة مثلاً، وهي في لاهوتنا كشف إلهي بالصورة كما هو الإنجيل بالكلمة، الصديق يوسف هو

أحد المكوّنات الرئيسية لأيقونة الميلاد. في هذه الأيقونة التي تروي لنا الحدّث الخلاصي في أبعاد لاهوته، نرى القديس يوسف إما مطرقاً

العدد ٢٠٠٧/٥٢
الأحد ٣٠ كانون الأول
الأحد بعد عيد الميلاد
تذكار القديسين داود النبي
ويوسف الخطيب ويعقوب أخي الرب
والقديسة البارة في الشهداء
أنيسية

يواجه المجرب (في التقليد الأيقوني الأكثر شيوعاً)، وإما ساهراً مع الكلية القداسة على الطفل الإلهي وله نفس الحجم والموقع للذين لها. أيقونة الميلاد لا تكتمل لاهوتاً بدون القديس يوسف، تحديداً لأن الأيقونة - ونحن نسميها الإنجيل المصوّر - لا تروي الحدّث الخلاصي مجتزأ.

ننتقل إلى التراث الأبائي، إلى القديس أفرام السرياني الذي يقول في نشيد له عن الميلاد إن يوسف حَضَنَ الإبن كطفل وخدمه كإله، يتأمل السر العظيم وكأنه في ذاته يقول من أعطى لي ابن العلي ليكون

الرسالة

(غلاطية ١: ١١-١٩)

يا إخوة أعلمكم أن الإنجيل الذي بشرت به ليس بحسب الإنسان* لأنّي لم أتسلمه أو أتعلّمه من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح* فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في ملّة اليهود أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأدمرها* وأزيد تقدماً في ملّة اليهود على كثيرين من أترابي في جنسي بكوني أوفر منهم غيرة على تقاليد آبائي* فلما ارتضى الله الذي أفرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته* أن يعلن ابنه في لبس بين الأمم لساعتي لم أضغ إلى لحم ودم* ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى ديار العرب وبعد ذلك رجعت إلى دمشق* ثمّ إنني بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأزور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً* ولم أر غيرَه من الرسل سوى يعقوب أخي الرب.

الإنجيل

(متى ٢: ١٣-٢٣)

لَمَّا انصرفَ المَجُوسُ إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي الحُلْمِ قَائِلًا قُمْ فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرَبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ* فَإِنَّ هِيرُودُسَ مَزْمَعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ* فَقامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانصرفَ إِلَى مِصْرَ* وَكانَ هُنَاكَ إِلَى وِفاةِ هِيرُودُسَ لِيَتِمَّ المَقُولُ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ القَائِلِ: «مَنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»* حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ المَجُوسَ سَخَرُوا بِهِ غَضِبَ جَدًّا وَأرْسَلَ ففَقَتَلَ كُلَّ صَبِيانَ بَيْتِ لَحْمٍ وَجَمِيعَ تَخُومِها مِنَ ابْنِ سَنَتَيْنِ فما دونَ عَلَيَّ حَسَبِ الزَّمانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ المَجُوسِ* حِينَئِذٍ تَمَّ ما قالَهُ إِرمِياُ النَّبِيُّ القَائِلِ: «صَوْتُ سُمعَ فِي الرِّامَةِ نوحٌ وَبِكاءٌ وَعويلٌ كَثِيرٌ. راحيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلادِها وَقَدْ أَبَتْ أَنْ تَتَعزَّى لَأَنَّهمَ لَيسُوا بِمُوجُودِينَ»* فَلَمَّا ماتَ هِيرُودُسُ إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي الحُلْمِ فِي مِصْرَ قَائِلًا: قُمْ فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْبِ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ فَقدَ ماتَ طالِبو نَفْسِ الصَّبِيِّ* فَقامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ* وَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ

معلوم أن مجتمع إسرائيل القديم كان مجتمعاً بطيريكياً، أي ذا طابع العائلة المتمحورة حول الأب. وبصفته أب وزوج، كانت واجبات الرجل أن يحمي حقوق أسرته أمام القضاة عند الضرورة، على ما أتى في سفر تثنية الإشتراع (٢٢: ١٣-١٩). ومعلوم أيضاً في الإطوار المجتمعي نفسه أن اليتيم والمرأة التي لا زوج لها كانا مهمشين ولا حقوق لهما. هكذا بخطبتها ليوسف يكون لمريم، ومعها الطفل الإلهي، سند يؤمن لهما القوت والكسوة والملبس ويقيهما عيون الشرير. وبالنظر إلى فضيلة هذا الصديق، بات يوسف لمريم الشاهد الأصدق على طهرها والحافظ الأمثل لابن الله المتجسد. هذا وقد حلت النعمة التي كافأ بها الله يوسف لا عليه وحسب بل على كل بيته (أسرته الأولى قبل ترممه). فمن بين أبنائه يهوذا (غير الإسخريوطي) أحد الرسل الإثني عشر، ويعقوب الأسقف الأول على أورشليم، وسالومة حاملة الطيب، وسمعان ابن أخيه ثاني أسقف يستشهد في أورشليم.

نعود هنا إلى نص آبائي ليتورجي عن الميلاد، لأبينا البار رومانوس المرئم، تخاطب فيه الكلية القداسة المجوس الذين أتوا يسجدون للطفل المولود، قائلة بما معناه إن سبب وجود يوسف في بيتها هو لدحض كل مشكك ومرتاب. فيوسف نفسه سوف يخبر عما سمعه من الملاك الذي أتاه في الليل ليخبره عن كيفية حبليها، مزيلاً عنه المخاوف ومبدياً شكوكه، وعمّن هو الطفل الآتي. في النص نفسه تقول الكلية القداسة أيضاً إن يوسف سوف يكون معها شاهداً للخليقة على أن الطفل المولود الآن هو الإله الذي

من قبل الأزل، وعن كيف أنشئت ملائكة السماء مع الرعاة، وعن النجمة التي مشت أمامهم وأنارت سبيلهم إليه.

أما الأيام الأخيرة فيرويها نص قديم من القرن الرابع اسمه «قصة يوسف النجار». فعندما شعر البار بدنو أجله، بعد شيخوخة مديدة ما شابها مرض أو أي من مضاعفات التقدم في السن، انطلق إلى أورشليم قاصداً هيكل الرب ليرفع صلاته الأخيرة أمام قدس الأقداس. هناك تضرع إلى العلي سائلاً الصفح عن خطاياها والرحمة، والتمس من الله أن يرسل إليه ميخائيل رئيس الملائكة العظيم رفيقاً لروحه في رحلتها الأخيرة. فور عودته إلى الناصرة، حل به مرض لازمه الفراش وصار يثقل عليه أكثر فأكثر. هنا يروي لنا تقليد يرقى إلى أيام الرسل الأولين أن الرب يسوع نفسه جلس إلى جانب الشيخ المحتضر، وباركه قائلاً: «إفرح يا أبتى يوسف... يا أيها الرجل البار». فأجابه يوسف قائلاً: «السلام عليك يا ابني المحبوب جداً. لقد أثقل الإحتضار ورهبة الموت علي كثيراً... ولكن ما إن سمعت صوتك حتى عاد إلى نفسي السلام. يا يسوع الناصري، يسوع يا مخلصي، يسوع يا أعذب اسم في فمي. يا أيتها العين التي ترى والأذن التي تسمع أصغي إلي. ها إنني عبدك آتي اليوم لأمجّدك بانسحاق ولأسكب أمام وجهك دموعي، يا من هو بحق ربي وإلهي». إذ ذاك انطلقت روح يوسف بسلام إلى أجداده عن مئة وعشر سنوات من العمر، وكان هذا قبيل انطلاق الرب يسوع إلى حياته العلنية.

فضيلة القديس يوسف، خطيب الكلية القداسة وحافظها، اختصرها

أرشيلاوسَ قد مَلَكَ على اليهوديةَ مكانَ هيرودسَ أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وأوحي إليه في الحلم فانصرف إلى نواحي الجليل* وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالأنبياء إنه يُدعى ناصرياً.

تأمل

«لما رأى هيرودس أن المجوس سخرُوا به غضب جداً وأرسل فقتل كل صبيان بيت لحم».

طوبى للإنسان الذي لا يسرع إلى الغيظ ولا يقبل غضباً، فإنه يكون في السلام كل حين وقد أقصى عنه روح الغضب الساخطة ونجا من الحرب والاضطراب. فإنه يكون هادئ الروح كل حين ومسرور الوجه. لا يهيج من الكلام الفارغ بينما يجري العدل والصدق. يلقي القبض بسهولة على المتخاصمين، ويحتمل دون مشقة اللادغين بألسنتهم. لا يفرح بالمخاصمات، ولا يرتكب ظلماً، لأنه يبدو متودداً إلى الجميع غير غضوب. لا يسر بحرب الكلام، ولا يقترب جوراً. الفاقد الغضب قد تزيّن بكل عمل صالح ويحبه المسيح. من طرد عنه دائماً روح السخط والغضب يكون جسمه وعقله ونفسه معافاة

الإنجيلي متى بكلمة «كان باراً» (١: ١٩)، ولعلها أصدق شهادة في الرجل إذ هي كما الإنجيل كله ملهمة من الله.

هيرودس والمجوس

«لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، سقط اعتزاز اليهود. فليتهل الأطفال لأنهم قد ذبحوا من أجل المسيح، ولتنتحب اليهودية لأنه قد سُمع صوت في الرامة. راحيل تنوح باكية على بنيتها كما كتب. فإن هيرودس المتجاوز الشريعة بقتله الأطفال قد أتم المكتوب، مُفعماً اليهودية دماً ذكياً. فالأرض تخضبت بدماء الصبيان، وأما الكنيسة التي من الأمم فقد تسربت حلّة التطهير سرياً. الحقيقة قد وردت، والإله قد ظهر للجالسين في الظلام، مولوداً من البتول لكي يخلصنا» (من صلاة غروب تذكّار أطفال بيت لحم، ٢٩ كانون الأول).

يوم عيد الميلاد سمعنا في القراءة الإنجيلية (متى ٢: ١-١٢) عن مجيء المجوس من المشرق، من بلاد فارس الوثنية، مفتشين عن الطفل الملك المولود ليسجدوا له، وعن استدعاء هيرودس لهم «سراً» للإستفسار منهم عن مكان وزمان ولادة هذا الطفل. لو كان قصد هيرودس نقياً لما استدعى المجوس بالسر، لأن الخير يجري في العلن، أما السر فيحوي الشر. لقد خاف هيرودس الملك العظيم من طفل حديث الولادة ظناً منه انه سوف ينتزع منه سلطته الأرضية، ولم يعلم ان الرب تجسد ليؤسس مملكة ليست من هذا العالم، ليفتح ملكوت السموات. صورة هيرودس هي صورة كل واحد منا وصورة كل سلطة على الأرض وكل طاغية خائف على مركزه. نخترع الأوهام لنقتل

الآخرين، ربما ليس جسدياً إنما بكلمة كما قال الرب (متى ٢١: ٥-٢٢).

في الأحد الذي يلي عيد الميلاد يتلى على مسامعنا الجزء الثاني من الإصحاح الثاني من إنجيل متى (٢: ١٣-٢٣) حيث المجوس ينصرفون إلى بلادهم كما أوحى لهم الملاك، مزدريين بهيرودس، ثم ظهور الملاك ليوسف والهرب بالطفل إلى مصر، ثم قتل هيرودس لأطفال بيت لحم، وبعدها موت هيرودس وعودة العائلة المقدسة إلى الجليل والسكن في الناصرة «ليتم المقول بالأنبياء انه يدعى ناصرياً». ألا يدفع الأبرياء دوماً ثمن ظلم الأشرار وحساباتهم الخاصة ومراكزهم؟

من يقرأ الإصحاح الثاني من إنجيل متى، أي نصي عيد الميلاد والأحد الذي يليه، يلاحظ مواجهة بين موقفين: موقف اليهود الممثلين بهيرودس والرافضين ليسوع، وموقف الأمم الممثلين بالمجوس الآتين للسطوة ليسوع. أبناء إبراهيم المؤمنين بالله، الذين من نسلهم ولد المسيح، شعبه، يرفضونه، لا بل يريدون قتله، والغرباء الوثنيون الذين لديهم آلهتهم والكواكب، الذين لا صلة نسب تربطهم بيسوع، يقبلونه، لا بل يسجدون له ويقدمون له الهدايا. هيرودس وربعه يلاحقون يسوع، ومصر وأهلها الفرعنة يستقبلون الآتي ليخلص البشرية. وكأننا بالإنجيلي متى يضع في هذا الإصحاح المخطط الأساسي لكل إنجيله، لا بل لعلاقة يسوع مع القريبين والبعيدين. الأقرباء يرفضون يسوع ويصلبونه، والغرباء يقبلونه ويعترفون به إلهاً. هذان الموقفان المتناقضان ينسحبان على كل إنجيل متى. في العجائب

صحيحة في كل حين. أما من يستولي عليه دائماً الاحتداد ويسخط سريعاً، وربما لأتفه الأسباب فسيسمع الرسول يعقوب قائلاً: «ان غضب الرجل لا يعمل بر الله» (يع ١: ٢٠). فالمغلوب بمثل هذه الأهواء هو بالحقيقة شقي ومنكود الطالع. لأن الغضب يقتل نفسه كما قيل، لأنه يتصرف دائماً في الاضطراب مقفراً من الهدوء وهو غريب عن السلام حتى انه يكون فاقد الصحة، لأن جسمه يذوب كل حين، ونفسه مغمومة، وبشرته ضامرة، ولونه باهت، وزهنه متقلب وعقله سقيم، وأفكاره تفيض كالنهر، يمقت الجميع ولا يحليه طول الروح والمحبة. يقلق سريعاً من الأقوال الفارغة ويثير الخصومات لأتفه الأسباب. يزج نفسه حيث لا تكون حاجة إلى ذلك، ويسمح لذاته بالبغيض. يفرح بكثرة الأحاديث، ويتعد من الأمور التي لا توافق هواه بشتى أنواع الشتائم. يضيق ذرعاً بالوداعة. هو مقدم في الأشياء الخبيثة. فمن لا ينوح على مثل هذا لأنه مرفوض لدى الله والناس؟ إن المحتد يقع في كل أمر رديء. لذا عليه أن يتجنب ويحذر الاحتداد.

القديس أفرام السرياني

والشفاءات يقول الفريسيون، أي المتدينون من اليهود، عن يسوع انه «برئيس الشياطين يُخرج الشياطين» (٣٤: ٩)، بينما قائد المئة الوثني الروماني يطلب من الرب بتواضع كبير شفاء غلامه: «لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبراً غلامي» (٨: ٨)، فيشفي الرب الغلام ويقول: «الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا. وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات» (٨: ١٠ و ١١). الفريسيون ورؤساء الكهنة اليهود حكموا على يسوع بالصلب لأنه قال عن نفسه انه «ابن الله» (٢٦: ٥٧-٦٨)، أما قائد المئة الروماني الذي عاين الزلزلة لحظة أسلم يسوع الروح فقد قال: «حقاً كان هذا ابن الله» (٢٧: ٥٤).

هذا الموقف الراض أو المشكك هو موقف معظمنا نحن المسيحيين الذين اعتمدنا على اسم الثالوث القدوس وولنا مسحة الروح القدس الذي حل على العذراء يوم الحبل بيسوع، وقبلنا يسوع المسيح رباً ومخلصاً، إذ اننا نقتل كل يوم يسوع بأفعالنا وأقوالنا. نفرح بميلاد السيد ولكننا نقتله وهو في المهد بسوء تصرفنا وقلة أخلاقنا وتكبرنا. نرفضه ابناً لله، نحيك المؤامرات، في السر كما فعل هيرودس، ضد اخوتنا لنبقى نحن «الملوك» ولا يهمننا من نجرح أو من نقتل. المهم أن نصل إلى مآربنا. كلنا نفخر اننا مسيحيون وندعي اننا أفضل بني البشر، لكن سلوكنا يفضحنا ويظهرنا على حقيقتنا، بعيدين كل البعد عن المسيحية وتعاليم المسيح فيصبح قول الرب فينا: «الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله» (متى ٢١: ٣١). هؤلاء

البعيدون عن الإيمان سوف يسبقوننا إلى الملكوت، لأن دينوتنا نحن أبناء الإيمان أعظم من دينوتهم، لأن من يعرف أكثر يدان أكثر. «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٢١: ٧).

ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع وعيد القديس باسيليوس الكبير ورأس السنة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء الأول من كانون الثاني ٢٠٠٨ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة. ويستقبل سيادته المهنتين يوم الثلاثاء ١ كانون الثاني ٢٠٠٨ من الساعة ٤ ب.ظ حتى الساعة ٧ مساء ويوم الأربعاء ٢ كانون الثاني من الساعة ١٠ صباحاً حتى الواحدة ومن الساعة ٤ ب.ظ حتى الساعة ٧ مساء.

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٦ كانون الثاني ٢٠٠٨ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb